صدر عن حزب حرَّاس الأرز ــ حركة القومية اللبنانية، البيان التالي:

أعلن مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك في بيانه الختامي الأخير إن "... تردّي الأوضاع في لبنان مردّه إلى عدم التوصّل حتى الآن إلى إقامة علاقات سليمة بين لبنان وسوريا... ودعا إلى إقامة أوثق علاقات الأخوّة بين البلدين على أساس الإحترام المتبادل... وعلى أن يكون ثمّة تنسيق بينهما في الشؤون الخارجية..." إلخ.

خلافاً لرأي الكثيرين مِمَّن أشادوا بهذا البيان ورأوا فيه موقفاً وطنياً سليماً يجتمع حوله اللبنانيون، نقول بصراحتنا المعهودة إن هذا الكلام لم يعجبنا ولا نستطيع القبول به لا بالشكل ولا بالأساس لعدة أسباب أبرزها:

في الشكل، لأن اللغة المستعملة في مخاطبة الإحتلال السوري فيها الكثير من التملّق والمواربة واللعب على الألفاظ مما يؤكد إن القصد هو تجنُّب إغاظة هذا الإحتلال والحرص على إسترضائه بدلاً من التنديد به ومواجهته بكلام مباشر، صريح وجريء. ناهيك ببعض المصطلحات الزائفة والمضللة التي تعكس حالة من الخوف والتجابن في قول الحقائق كما هي، وأولها تسمية الإحتلال بإسمه...

ومن هذه المصطلحات القول بإقامة "علاقات سليمة" بين البلدين من دون الإشارة إلى وجوب إزالة الإحتلال قبل أي شيء آخر، علماً إن بكركي، مع الأسف الشديد، إمتنعت دائماً عن إستعمال لفظة إحتلال في وصف الحالة السورية في لبنان. إضافة إلى مصطلح آخر هو "علاقات الأخوّة" الذي يتكرر بإستمرار في كل البيانات الصادرة عن هذا المقام الروحي الكبير والذي لا يستند إلى إي أساس واقعي وتاريخي صحيح:

أولاً، لأن ليس هناك في العالم كله من بلدين تربط بينهما علاقات أخوية بل مصالح آنية وظرفية كما هو معروف. ثانياً، لأن العلاقات اللبنانية ــ السورية تحكّمت بها عبر التاريخ حالة تصادمية متواصلة على خلفية أطماع سوريا الدائمة بالإستلاء على هذا البلد والسطو على كيانه. ثالثاً، كيف يتكلمون عن أخوّةٍ إستباحت كل المحرّمات في لبنان وداست على مقدَّساته؟ وكيف ندعوه أخاً ذاك الذي لا هَمَّ له سِوى الإستمتاع بذبح أخيه وجَرْم لحمه وعظمه بدمٍ بارد وبروح سادية قلَّ نظيرها في تاريخ البشرية؟ ورابعاً، كيف يطلبون من الضحية إقامة أوثق العلاقات مع الجلاد؟ وخامساً، كيف يطلبون التنسيق مع سوريا في الشؤون الخارجية وهي ترفض أصلاً الإعتراف بوجود شيءٍ إسمه لبنان؟.

وإذا ما إسترسلنا في طرح الأسئلة نضيف: أليس من العيب أن يكون قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ وتقرير الأمين العام والبيان الرئاسي أكثر جرأةً ووضوحاً من بيان مجلس المطارنة؟ وكيف نطلب من الغير ما لا نطلبه من أنفسنا، وأن يكون هذا الغير ملكياً أكثر من الملك؟ وحتامَ سنظل نستعمل كلاماً مبهماً وألفاظاً ملتبسة ونطلب من الغير أن يقرأ بين السطور وتحت السطور لكي يفهم ماذا نريد؟ ومذا نقصد؟.

في المضمون، إن الإستمرار في إستعمال هذا الأسلوب المنمَّق والغامض في التعاطي مع الإحتلال السوري من شأنه أن يفضي حتماً إلى إنعكاسات سلبية عديدة وعواقب وخيمة، منها:

١- أن يأخذ الرأي العام الخارجي وبخاصة العالم الغربي هذه الأضاليل على محمل الجَدّ، ويعتبر إن هذه "الأخوَّة" المزعومة بين لبنان وسوريا هي حقيقة قائمة ويتعامل معنا على أساسها، سيَّما وإنها صادرة عن أعلى مراجع دينية في هذا الشرق ولها وقعها على الناس أكثر من المرجعيات السياسية.

٢- إن التمادي في مخاطبة الإحتلال بهذه الميوعة الظاهرة قد يؤدي إلى مَودَرة القرار الدولي رقم ١٥٥٩ كي لا نقول إلى خصيه، وإلى التخفيف من حماسة الدول الغربية في تنفيذ بنوده والإندفاع في تأييد قضيتنا.

٣- إن تكرار هذه المصطلحات الزائفة من شأنها أن تجعل اللبنانيين يتعوَّدون عليها مع الوقت، ويؤمنون بها، ويستعملونها بدورهم في لغتهم السياسية لأن "من أقوى الأشياء في الحياة قوة العادة" كما يقول لينين.

٤- إن الجبانة في قول الحقيقة تقود إلى التخاذل، والتخاذل إلى الخنوع، والخنوع إلى الإستكانة، والإستكانة إلى الإستسلام، والإستسلام إلى الرضوخ للأمر الواقع والقبول به... وهذا كله يقود في النهاية إلى مرض خطير يصيب الشعوب المستسلمة إسمه المازوشية السياسية، وهنا الطامة الكبرى.

أخيراً، ومن المؤسف القول إن مسؤولية خراب لبنان لا تعود فقط إلى عدم التوصّل إلى إقامة علاقات سليمة بين لبنان وسوريا كما يدّعي بيان مجلس البطاركة، ولا حتى إلى عدوانية النظام السوري وحدها، بل إلى الجبانة في التعاطي مع الحالة السورية في لبنان... وإن هذه المسؤلية يتحملها القيمون على الشأن اللبناني أكثر مما يتحملها السوريون أنفسهم بإعتبار إن الشجاعة وحدها تقصِّر من عُمر الإحتلال والجبانة تطيل في عُمره.

لبَّــيك لبـــنان
أبو أرز
في ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤.